



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

دراسات | 28 أيار/ مايو، 2024

العلاقات بين أذربيجان وإيران في ظلّ تحديات القومية التركية

بيرم سنكيا

وحدة الدراسات الإيرانية

العلاقات بين أذربيجان وإيران في ظلّ تحديات القومية التركية

سلسلة: دراسات

28 أيار/ مايو، 2024

وحدة الدراسات الإيرانية

بيرم سنكيا

أستاذ مشارك في العلاقات الدولية في جامعة أنقرة يلدريم بيازيد. حصل على الدكتوراه من جامعة الشرق الأوسط التقنية في أنقرة، حيث عمل أيضاً بوصفه مساعد باحث (2002-2011). كان باحثاً زائراً في جامعة كولومبيا (2007-2008) وجامعة طهران (2003). وشغل منصب باحث زميل غير مقيم، في دائرة الشؤون الإيرانية في مركز الدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط بأنقرة في الفترة 2014-2017. تشمل اهتماماته البحثية السياسة الإيرانية والسياسات الخارجية والأمنية لإيران وسياسات الشرق الأوسط والسياسة الخارجية التركية. وهو مؤلف كتاب *The Revolutionary Guards in Iranian Politics: Elites and Shifting Relations* (Routledge, 2015).

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحققها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعاين، قطر

هاتف: +974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	مقدمة
2	أولاً: العلاقات بين أذربيجان وإيران بعد حرب قره باغ الثانية
6	ثانياً: التحوّل الجيوسياسي في جنوب القوقاز
10	ثالثاً: ظهور «هاجس» القومية التركية
13	خاتمة
16	المراجع

مقدمة

شكل استقلال جمهورية أذربيجان في تشرين الأول/ أكتوبر 1991، والنزاع الذي تبع تلك المرحلة بين أذربيجان وأرمينيا بشأن إقليم ناغورنو قره باغ، مجموعة جديدة من التحديات للجمهورية الإسلامية الإيرانية. وكان أحد هذه التحديات أن إيران باتت تواجه نزاعاً عسكرياً بين دولتين مجاورتين لها، ما أدّى إلى نشوء حالة من عدم الاستقرار قرب حدودها، سرعان ما لبثت أن تحولت إلى نزاعٍ طويل الأمد. صحيح أن إيران ادّعت وقوفها على الحياد، إلا أن أذربيجان اتّهمتها بتقديم دعمٍ ضمنيٍّ لأرمينيا. أمّا التحدي الآخر، فتمثّل في صعود أبو الفضل إيجي بيك الشيبلي إلى السلطة في باكو في حزيران/ يونيو 1992، ما أشعل فتيل ما يُسمّى بتهديد القومية التركية؛ تهديدٌ يُزعم أنه كان يستهدف السلامة الإقليمية الإيرانية. وكان الشيبلي قومياً تركياً مندفعاً، تنبأ بسقوط إيران وأيد «توحيد أذربيجان مع أذربيجان الجنوبية» (الواقعة في إيران)، ما أثار قلق المسؤولين الإيرانيين بشأن المخاطر الأمنية التي قد تنشأ عن أذربيجان قويّة ومستقلّة¹. ومع ذلك، كانت العلاقات التي تربط بين باكو وطهران علاقات عملية، خاصة بعد استبدال الشيبلي بحيدر علييف رئيساً لأذربيجان في عام 1993. وعلى الرغم من التوترات العرضية التي سادت بين الدولتين المتجاورتين بشأن الترويج الإيراني المزعوم للإسلام السياسي، وتعزيز إيران أنشطتها الاستخباراتية داخل أذربيجان، فضلاً عن الدعم الإيراني لأرمينيا في ما يتعلّق بنزاع قره باغ، ودعم أذربيجان المزعوم للقومية العرقية بين الأذريين الإيرانيين، فإنهما تمكّنتا من الحفاظ على علاقات مستقرة وعملية نسبياً.

لكنّ العلاقات بين باكو وطهران شهدت توتراً ملحوظاً، وذلك مباشرةً بعد حرب قره باغ الثانية (27 أيلول/ سبتمبر - 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 2020)، التي أطلقت عليها أذربيجان أيضاً اسم «حرب الـ 44 يوماً». وقد انتهت بتحرير أذربيجان للأراضي التي كانت قد احتلتها القوات الأرمينية سابقاً. واستشابت أذربيجان غضباً من نشر إيران قوَّاتٍ إضافيةً قرب حدودها معها، فضلاً عن المناورات العسكرية المتكرّرة التي تجريها إيران. في المقابل، رأت إيران أن العلاقات المتنامية بين أذربيجان وإسرائيل تشكّل «تهديداً صهيونياً» يقترب تدريجياً من أراضيها. وأخيراً، ورداً على الهجوم على سفارة أذربيجان في طهران في كانون الثاني/ يناير 2023، علّقت أذربيجان أنشطتها الدبلوماسية، وسحبت دبلوماسيّها من طهران. وبعد ذلك، اتّهمت باكو طهران بأنّها تُنشئ خلايا مسلّحة في أذربيجان، وأعلنت أن بعض الدبلوماسيين الإيرانيين «أشخاص غير مرغوب فيهم». وردّت إيران على هذا الإجراء بالمثل، لتكشف عن حدة التوتر بين الدولتين.

تتناول هذه الدراسة تطوّر العلاقات بين أذربيجان وإيران بعد حرب قره باغ الثانية. وترى أن التوترات الأخيرة بينهما ناجمة عن عاملين مرتبطين. العامل الأول هو التحول الجيوسياسي في جنوب القوقاز الذي يتعارض ومصالح إيران؛ فقد كسرت الحرب حالة الجمود السابقة بين أذربيجان وأرمينيا، وجعلت الأولى القوة المهيمنة في المنطقة إلى جانب تركيا. أما العامل الثاني، فيتمثّل في إعادة إحياء هاجس فكرة القومية التركية، الذي خيم على العلاقات بين باكو وطهران طوال القرن الماضي. وإضافةً إلى ذلك، فإنّ تصاعد النفوذين الأذري والتركي في جنوب القوقاز، ووجود ما يقارب من 25 مليون شخصٍ ناطقين باللغتين التركية والأذرية في المنطقة الشمالية الغربية من إيران، والتي تُعرف بأذربيجان الإيرانية، قد أثبتا أنهما مصدران للتوتر في العلاقات بين أذربيجان وإيران. وغالباً ما تحدّث أعضاء من النخبة الأذرية، الذين تربطهم

1 Emil Souleimanov, "Dealing with Azerbaijan: The Policies of Turkey and Iran toward the Karabakh War (1991-1994)," Middle Eastern Review of International Affairs, vol. 15, no. 3 (2011).

علاقات وثيقة بالرئيس السابق الشيبلي، عن تقسيم إيران وتوحيد أذربيجان مع أذربيجان الجنوبية². وقد أدى هذا الأمر إلى تأجيج مخاوف طهران من أن تسعى باكو إلى تحريض الحركات القومية العرقية بين الأذريين الإيرانيين³. وأدّت أيضًا السياسات القومية التركية أو القومية الأذرية المزعومة التي اعتمدها باكو إلى إضفاء الطابع الأمني على العلاقات بين البلدين⁴.

أولاً: العلاقات بين أذربيجان وإيران بعد حرب قره باغ الثانية

مع اندلاع الاشتباكات المسلّحة على جبهة قره باغ في 27 أيلول / سبتمبر 2020، أثبتت أذربيجان بسرعة تفوّقها العسكري على القوّات الأرمنية. واعتمدت إيران، بعد اندلاع الحرب، سياسةً تجاه التطوّرات الجارية بدت مرتبكةً جدًّا، إذ أبدى المسؤولون الإيرانيون تأييدهم لأذربيجان من جهة، وقد ظهر ذلك جليًّا من خلال تأكيد المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي على «حقّ أذربيجان في تحرير أراضيها المحتلة»⁵. وإضافةً إلى ذلك، أجرى مدير مكتب الرئيس حسن روحاني آنذاك، محمود واعظي، اتصالاً هاتفياً بنائب رئيس الوزراء الأذربيجاني، شاهين مصطفىيف، وأكد دعم طهران لسلامة أراضي أذربيجان⁶. من جهةٍ أخرى، يمكن القول إن إيران عملت أيضًا قناةً للإمدادات العسكرية الروسية إلى أرمينيا. فقد نشر قوميّون عرقيّون إيرانيون أذريون صوراً ومقاطع فيديو لعدّة شاحنات عسكرية يُزعم أنها تنقل أسلحة ومعدّات إلى أرمينيا. لكنّ المتحدّثين باسم إيران وصفوا الأمر بأنّه جزء من عملية نقل روتينية لمواد تقليدية غير عسكرية. ونفت السلطات الإيرانية الدعم الإيراني المزعوم لأرمينيا، ووصفته بأنّه «شائعات لا أساس لها من الصحة» تهدف إلى عرقلة العلاقات بين طهران وباكو⁷.

في الوقت نفسه، دعت إيران إلى حلٍّ غير عسكري للنزاع، واقترحت أن تتدخل وتكون وسيطاً بينهما⁸. فعرضت خطة سلام شدّدت على مبدأ الحفاظ على سلامة أراضي جميع الدول الإقليمية. وفي هذا الإطار، زار نائب وزير الخارجية الإيراني، عباس عراقجي، بصفته الممثل الخاص للرئيس الإيراني، أربع دول - أذربيجان وروسيا وأرمينيا وتركيا - بهدف عرض المبادرة الإيرانية لحلّ النزاع و«تحقيق سلام دائم» بين أرمينيا وأذربيجان. وبناءً على ذلك، اقترحت إيران استضافة منتدى إقليمي مُعدّ بصيغة «3+3» لتحقيق الاستقرار في جنوب القوقاز، يضمّ ثلاث جمهوريات في جنوب القوقاز، هي أرمينيا وأذربيجان وجورجيا، إضافة إلى ثلاث دول مجاورة للقوقاز، هي تركيا وروسيا وإيران⁹.

2 Nesib Nesibli, *Bölünmüş Azərbaycan, Bütöv Azərbaycan* [أذربيجان المنقسمة، أذربيجان الكاملة] (Baku: Ay-Ulduz, 1997).

3 Julien Zarifian, "Iran and its Two Neighbours Armenia and Azerbaijan: Resuming Relationships under America's Suspicious Eyes," *Iran and the Caucasus*, vol. 13, no. 2 (2009).

4 رضا كدخدازاده وحמידرضا عزيزي، "تأثير سياستهاي پان تركيستي در روابط جمهوري آذربايجان با ايران" [تأثير السياسات القومية التركية في العلاقات بين جمهورية أذربيجان وإيران]، *سياسة جهاني* [السياسة العالمية]، مج 9، العدد 2 (2020)، ص 117 - 146.

5 Syed Zafar Mehdi, "Iran Backs Azerbaijan's Right to Liberate Karabakh," *Anadolu Ajansi*, 11/11/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/4th6znnk>; Eldar Mamedov, "Iran's Delicate Balancing Act in the South Caucasus," *Eurasianet*, 8/10/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/mtvc7mk6>

6 "Protests Erupt in Iran Backing Azerbaijan in Nagorno-Karabakh Conflict," *RFE/RL's Radio Farda*, 2/10/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/crn22pec>

7 Ibid.; Brenda Shaffer, "Iran's Policy towards the Caucasus and Central Asia," *The Central Asia-Caucasus Analyst*, 17/8/2022, p. 7, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/29ndd4yc>

8 Kerim Has, Vali Kaleji & Sergey Markedonov, "The Breakdown of the Status Quo and the International Dimension of the Nagorno-Karabakh Crisis," *VDC Report*, The Valdai Discussion Club (December 2020), p. 18, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/5y4tvu5b>; Zaur Gasimov, "Active but Inefficient? Iran's Strategy towards the Conflict in Nagorno Karabakh," in: Turan Gafarli & Michael Arnold (eds.), *The Karabakh Gambit: Responsibility for Future* (Istanbul: TRT World Research Center, 2021), p. 215.

9 "Iran after Peace in Nagorno-Karabakh, A Region in South Caucasus," *Islamic Republic News Agency (IRNA)*, 31/10/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/2eh3j6af>

وعندما ورد أنّ عددًا من الصواريخ وقذائف المدفعية قد سقطت في الأراضي الإيرانية، نشرت طهران قوات إضافية ومعدّات عسكرية على طول حدودها الشمالية¹⁰. واعترض المسؤولون الإيرانيون عدّة مرّات على انتهاك الأراضي الإيرانية، وحذّروا الطرفين المتنازعين من تعريض أمن حدود البلاد للخطر. وفي خضمّ الاشتباكات العنيفة بين القوّات الأذربيجانية والأرمنية، نفّذ الجيش الإيراني مناورةً عسكريةً في يوم واحد قرب الحدود في 9 تشرين الأول/ أكتوبر 2020. وتُفيد التقارير أنّ القوّات الإيرانية عبرت الحدود إلى داخل أذربيجان بذريعة حماية محطةّ خودافارين لتوليد الطاقة المائية، ما أدّى إلى عرقلة تقدّم القوّات الأذربيجانية بضعة أيّام¹¹.

تفاجأ المسؤولون الإيرانيون بسرعة تقدّم القوّات الأذربيجانية وتحريرها للمناطق السبع التي احتلتها أرمينيا، وتقدّمها نحو إقليم ناغورنو قره باغ، فبدؤوا في إطلاق تحذيراتٍ، خاصةً لأذربيجان. وأعلنت إيران رسميًا أنها لن تقبل أيّ تغيير قد يطرأ على «الحدود الدولية الرسمية» في المنطقة. ومن بين التحذيرات التي وجهتها إيران إلى أذربيجان، استقدام الأخيرة مقاتلين أجانب من سورية، صُنّفوا على أنهم «سلفيون أو تكفيريون أو إرهابيون»، يشاركون في القتال إلى جانب القوات الأذربيجانية. وفي هذا السياق، صرّح وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، أنّ إيران «شبه متأكدة» من مشاركة إرهابيين في النزاع، وهي مسألة «لن تتسامح بها على مقربةٍ من حدودها»¹². وكبّرّ خامنئي أيضًا هذا القول بشأن وجود الإرهابيين المزعوم في منطقة النزاع، محذّرًا من أنه في حال شكّلوا أيّ خطر على إيران، فسيجري «بالتأكيد التعامل معهم بحزم»¹³.

جرى تهميش مبادرة إيران الدبلوماسية لإنهاء النزاع، من خلال اتفاق وقف إطلاق نار توسطت فيه روسيا، ونجم عنه إعلان موسكو في 10 تشرين الثاني/ نوفمبر 2020¹⁴. ومع ذلك، رحّبت إيران رسميًا بالاتفاق، إذ أشاد ظريف بـ «الجهود البناءة» التي بذلتها روسيا، وحثّ الطرفين المتنازعين على «المشاركة في حوارٍ جوهري قائم على احترام القانون الدولي والسلامة الإقليمية»¹⁵. وجاء في بيانٍ صادرٍ عن وزارة الخارجية ما يلي: «ترحّب إيران بهذا الاتفاق الذي حدّد مبادئه مقترحُ الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتأمّل أن يؤدي إلى إرساء سلام دائم في منطقة القوقاز»¹⁶. وتضمّن البيان أيضًا استعداد طهران للمساهمة في تنفيذ بنود الاتفاق. لكنه جرى تجاهل محاولتها للمساعدة في تنفيذ اتفاق الهدنة. وباستبعاد إيران عن عملية التنفيذ هذه، شعرت بحالةٍ من الإحباط بسبب الدور الذي تؤديه تركيا، إلى جانب روسيا، في عملية مراقبة وقف إطلاق النار. فالغموض العام الذي اعترى اتفاق وقف إطلاق النار، و«عدم إطلاع إيران» على تفاصيله، خاصةً ما يتعلّق بتحديد عبارة «روابط النقل» المتوخاة بين ناخيتشيفان (نخجوان) والبرّ الرئيس لأذربيجان، قد أثارا التكهنات والمخاوف لدى الإيرانيين¹⁷.

10 Vali Kaleji, "The 2020 Karabakh War's Impact on the Northwestern Border of Iran," *Eurasia Daily Monitor*, 18/12/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/4zyc2f2t>

11 Avinoam Idan & Brenda Shaffer, "Israel's Role in the Second Armenia-Azerbaijan War," in: Gafarli & Arnold (eds.), p. 196.

12 "Vague Peace in Nagorno-Karabakh," *Tehran Times*, 14/11/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://bit.ly/4dLwPec>

13 Ibid.

14 للاطلاع على نصّ اتفاق وقف إطلاق النار، ينظر:

"Statement by President of the Republic of Azerbaijan, Prime Minister of the Republic of Armenia and President of the Russian Federation," *President of Russia Website*, 10/11/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/bddsshhh>

15 Has, Kaleji & Markedonov, p. 7.

16 Arvin Khoshnood & Ardavan Khoshnood, "Iran's Quandary on Nagorno-Karabakh," *Middle East Quarterly*, vol. 28, no. 2 (2021), accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/6azwdw3>

17 "Vague Peace in Nagorno-Karabakh."

ازدادت مخاوف طهران مع احتمال استخدام أذربيجان القوة لإنشاء روابط النقل التي أطلقت عليها أذربيجان اسم « ممرّ زنجزور»، لضمان الوصول البرّي إلى جيب ناخيتشيفان الأذربيجاني¹⁸. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تغييرٍ قسريٍّ لحدود إيران مع أرمينيا، التي تشكّل خطأً أحمرً بالنسبة إلى إيران. وفي ظلّ الصمت الروسي والتشجيع التركي المزعوم في ما يتعلّق بتهديد أذربيجان باللجوء إلى القوة، التقى خامنئي بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان على هامش «قمة أستانا» التي عُقدت في طهران في تموز/ يوليو 2022. وحذّر خامنئي قائلاً: «إذا كانت هناك سياسة لإغلاق الحدود الإيرانية - الأرمينية، فإنّ الجمهورية الإسلامية ستعارض ذلك، لأنّ هذه الحدود شكّلت طريق اتصال منذ آلاف السنين»¹⁹.

وإضافةً إلى حالة الاستياء التي خلّفتها مسألة ممرّ زنجزور، اتّجهت العلاقات بين أذربيجان وإيران في مسارها نحو أزمةٍ جديةٍ بشأن العديد من المسائل. فقد تمثّل التطوّر الأول الذي أدّى إلى تصاعد حدّة التوتر بينهما في فرض أذربيجان «ضريبة طريق» على الشاحنات الإيرانية التي تمرّ عبر طريق غوريس - كابان في طريقها إلى أرمينيا. صحيح أنّ هذا الطريق كان جزءاً من الطريق السريع نوردوز - يريفان الذي يبلغ طوله 400 كيلومتر، والذي يربط العاصمة الأرمينية، يريفان، بإيران، إلّا أنّ قرابة 20 كيلومتراً بقيت عملياً ضمن أراضي أذربيجان المحرّرة حديثاً. وإضافةً إلى ذلك، عرقلت أذربيجان مرور الشاحنات الإيرانية إلى قره باغ، الذي عدّته «عبوراً غير قانوني لمركبات دولة ثالثة داخل أراضي جمهورية أذربيجان». وقد حدث مثل هذا الأمر في أيلول/ سبتمبر 2021، عندما أوقفت السلطات الأذربيجانية سائقي شاحنتين إيرانيّتين واعتقلتهما، بتهمة أنهما ينقلان بضائع بين أرمينيا وقره باغ بهدف دخول أراضي أذربيجان على نحو غير قانوني عبر أرمينيا²⁰.

تصاعدت حدّة التوتر بين أذربيجان وإيران بعد أن أجرتا كلاتهما مناورات عسكرية متتالية في أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 2021. وقد ردّ الرئيس الأذربيجاني، إلهام علييف، بقوة على توقيت المناورات العسكرية الإيرانية، ومكان إجراءاتها والأسباب التي تقف وراءها. وذكر بأنّ هذه المناورات هي أوّل «استعراض للقوة» تجريه إيران قريباً جداً من حدود أذربيجان منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، وتساءل: «لماذا الآن، ولماذا على حدودنا؟»²¹.

استندت إيران إلى نقطتين أساسيتين لتبرير تعزيزاتها ومناوراتها العسكرية: أولاً، المخاطر التي تهدّد الحدود الدولية، وثانياً، وجود «الجماعات الإرهابية التكفيرية» و«العناصر الصهيونية» على الجانب الأذربيجاني من الحدود المشتركة. وقال وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، في استقباله السفير الأذربيجاني الجديد لدى طهران في أيلول/ سبتمبر 2021: «لا نتسامح مع وجود النظام الصهيوني ونشاطه ضدّ أمننا القومي قرب حدودنا»²². وجاء ردّ الرئيس علييف من مدينة جبرائيل، مؤكّداً أنّ أيّ ادعاءات بوجود أجناب في

18 بحسب التقارير، قال الرئيس الأذربيجاني إلهام علييف، خلال مقابلة مع التلفزيون الرسمي الأذربيجاني في 21 نيسان/ أبريل 2021: «إنّ إنشاء ممرّ زنجزور يلبّي تماماً مصالحنا الوطنية والتاريخية والمستقبلية. سننفذ إنشاء ممرّ زنجزور، سواء أرادت أرمينيا ذلك أم لا [...] إذا أرادت أرمينيا ذلك، فسنحل هذه القضية بسهولة أكبر، وإذا لم تُرد ذلك، فسنحلها بالقوة».

Ani Avetisyan, "Aliyev Threatens to Establish 'Corridor' in Armenia by Force," *OC Media*, 21/4/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/bde6jp4m>

19 "Iran's Leader: Attack on Syria Brings Harm to Entire Region," *Fars News Agency*, 19/7/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/yzvjv5jax>

20 Heydar Isayev & Ani Mejlumyan, "Azerbaijan Starts Charging Iranian Trucks Supplying Armenia," *Eurasianet*, 14/9/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/eav5d8jz>

21 "Don't Poke Your Nose into the Affairs of Azerbaijan! - Ilham Aliyev Sharply Besieged Iran," *Turan*, 4/10/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://bit.ly/3QQuq86>

22 Golnaz Esfandiari, "What's Behind Fresh Tensions On The Iran-Azerbaijan Border?" *RFE/RL's Radio Farda*, 1/10/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/mvnpnzya5>

الجانب الأذربيجاني من الحدود لا أساس لها من الصحة، وأنه من شأن أذربيجان أن تقرّر «مع أيّ بلد وعلى أيّ مستوى تبني العلاقات»²³.

وعلى الرغم من تفاهم حدّة التوترات بين باكو وطهران، فإن المسؤولين الأذربيجانيين والإيرانيين كان عليهم مراعاة الأولويات الجيوسياسية، لذلك قرّروا إدارة خلافاتهم. لم تشأ أذربيجان أن تُعادي إيران، جارتها الجنوبية القوية، في حين تجنّبت إيران المزيد من التصعيد [في علاقتها بأذربيجان]؛ ذلك أن أذربيجان تعدّ الشريك التجاري الرئيس لإيران في جنوب القوقاز، ومنفذاً مهماً لوصولها إلى أسواق روسيا والاتحاد الاقتصادي للمنطقة الأوروبية الآسيوية، وتقع أيضاً في وسط ممرّ النقل الدولي بين الشمال والجنوب، الذي من المتوقع أن يربط الخليج العربي بروسيا²⁴.

اجتمع علييف والرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي، في عشق آباد، في 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 2021، على هامش قمة منظمة التعاون الاقتصادي، بعد توقيع اتفاق لتبادل الغاز بين أذربيجان وإيران وتركمانستان. وفي ذلك الاجتماع، قال علييف: «إنّ الشعبين شقيقان، وإنّ البلدين شقيقان، والمسائل التي ناقشناها اليوم تدلّ مرّة أخرى على أنّ العلاقات الإيرانية - الأذربيجانية بلغت مستوىً عاليًا جدًّا». وأضاف: «لقد قرّرنا، أنه من الآن فصاعدًا، ستشهد العلاقات تطوّرًا في جميع المجالات»²⁵.

وقّعت أذربيجان وإيران مذكرة تفاهم في 11 آذار/ مارس 2022 لبناء طريق سريع وخط سكة حديد يبلغ طولهما 55 كيلومترًا عبر محافظة أذربيجان الشرقية الإيرانية، ويربطان أغبند في مقاطعة زانغلان في أذربيجان بمدينة أردوباد في ناخيتشيفان. وبحسب مذكرة التفاهم، يُسمح للمركبات الأذربيجانية بعبور الأراضي الإيرانية من دون الخضوع لمراقبة الجمارك الإيرانية. واتفق الفريقان على إنشاء خطوط اتصال وإمدادات طاقة جديدة تربط أذربيجان بناخيتشيفان عبر الأراضي الإيرانية²⁶. ونجحت أذربيجان في إنشاء طريق بديل للوصول إلى ناخيتشيفان عبر إيران، متجاوزةً أرمينيا تمامًا، من دون الحاجة إلى انتظار إنشاء «روابط النقل» المتوقعة بين ناخيتشيفان وأذربيجان عبر الأراضي الأرمينية²⁷.

بعد فترة هدوءٍ نسبي، اندلعت جولة جديدة من المشادّات الكلامية بين باكو وطهران في تشرين الأول/ أكتوبر 2022، بسبب العلاقات التي تربط أذربيجان بإسرائيل والمناورات العسكرية الإيرانية الجديدة. أولاً، زار وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك، بيني غانتس، أذربيجان ووقّع عدة اتفاقيات عسكرية وأمنية²⁸. ومن ثم، أجرت إيران مناورات عسكرية أطلقت عليها اسم «إيران القويّة» على طول الحدود مع أذربيجان، فجاء ردّ علييف بقوله إنّ «أولئك الذين يُجرون مناورات عسكرية لدعم أرمينيا على حدودنا» يجب أن يعلموا أنه «إذا لزم الأمر، سنُظهر ذلك مرّةً أخرى، وسنحقّق ما نريد [...] لا أحد يستطيع إخافتنا»²⁹.

23 "Don't Poke Your Nose into the Affairs of Azerbaijan!"

24 Vali Kaleji, "Tensions Deescalate between Iran and Republic of Azerbaijan," *Eurasia Daily Monitor*, 2/2/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/mrnnyxpu>

25 Joshua Kucera, "Azerbaijan, Turkmenistan, and Iran Reach Gas Trade Deal," *Eurasianet*, 19/11/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/3xmjn3pn>

26 Vali Kaleji, "Strategic Rail Connectivity: Time to Reconnect Iran and the South Caucasus," *Baku Dialogues*, vol. 6, no. 1 (2022), p. 114.

27 Heydar Isayev, "Azerbaijan, Iran Sign Transport Deal Bypassing Armenia," *Eurasianet*, 18/3/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/3paurnsn>

وقال حكمت حاجييف، كبير مستشاري الرئيس علييف للسياسة الخارجية، إن الطريق الجديد عبر إيران "سيضع حدًا لسياسة الحصار التي تنتهجها أرمينيا منذ سنوات على ناخيتشيفان".

28 Anna Borshchevskaya & Andrew J. Tabler, "Iran's Tensions with Azerbaijan Point to Broader Shifts in the South Caucasus," *Policy Analysis*, The Washington Institute for Near East Policy, 31/3/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/bdec2v6n>

29 "Azerbaijani President Warns Iran: No One Can Scare Us!" *Caliber.Az*, 8/11/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/3j6ua26z>

وفي كانون الثاني/يناير 2023، شهدت العلاقات بين البلدين توترًا أكبر عندما أدى هجوم مسلّح على سفارة أذربيجان في طهران إلى مقتل ضابط أمن وإصابة اثنين آخرين. ووصفت الحكومة الأذربيجانية الهجوم بأنه عمل «إرهابي»، واتّهمت السلطات الإيرانية بالتقصير في توفير الأمن للبعثة الدبلوماسية والفشل في التحقيق في الهجوم كما ينبغي. وعملت في وقت لاحق على إجلاء جميع الموظفين من السفارة، معبرةً مرّةً أخرى عن اعتراضها³⁰.

افتتحت أذربيجان سفارتها في إسرائيل في 29 آذار/مارس 2023، ما أثار حفيظة طهران. وقد أثارت تصريحات وزير الخارجية الإسرائيلي، إيلي كوهين، خلال حفل الافتتاح، استياء طهران خصوصًا، إذ تحدثت عن التصوّرات المشتركة [بين البلدين] بشأن التهديدات الإيرانية. وعلاوة على ذلك، أعلن كوهين أنه اتفق مع وزير الخارجية الأذربيجاني، جيهون بيراموف، الذي زار إسرائيل، على تشكيل «جبهة موحّدة ضد إيران»³¹. ورأى المسؤولون الإيرانيون أنّ هذه التصريحات تشكّل تعبيرًا عن التوجّه المعادي لإيران، الناجم عن التعاون بين أذربيجان وإسرائيل. وأضافوا أنّ إيران «لن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذه الجبهة الموحدة»³². وفي الإطار نفسه، قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية، ناصر كنعاني، إنّ تصريحات كوهين كشفت «نيّات إسرائيل الشريرة» لتحويل أراضي أذربيجان إلى ساحة «لتهديد الأمن القومي» لإيران³³.

وفي ضوء ذلك، مارس جهاز أمن الدولة الأذربيجاني المزيد من الضغوط على العناصر التي قد تكون موالية لإيران وموجودة داخل أذربيجان، وذلك بسبب المزاعم أنّ عناصر إيرانية جنّدت بعض الأذريين ودرّبتهم على تنفيذ عمليات معيّنة. وفي النهاية، أعلنت أذربيجان في نيسان/أبريل 2023، أنّ أربعة موظفين في السفارة الإيرانية في باكو «أشخاص غير مرغوب فيهم»، بسبب أنشطتهم التي كانت «تتعارض مع الوضع الدبلوماسي». وردًا على ذلك، طردت طهران أربعة دبلوماسيين أذربيجانيين³⁴.

يبدو أنّ العلاقات بين أذربيجان وإيران قد تدهورت في أعقاب حرب قره باغ الثانية. وهناك ديناميّتان أساسيتان وراء المشادات الكلامية والجدال الدبلوماسي التي تسبّبت في علاقة متوترة بينهما، هما: التحوّل الجيوسياسي في القوقاز ضد مصالح إيران، والخوف الإيراني المتصاعد من هاجس القومية التركية.

ثانيًا: التحوّل الجيوسياسي في جنوب القوقاز

في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، أدّى النزاع العرقي والإقليمي بشأن ناغورنو قره باغ، وهي منطقة تتمتع بالحكم الذاتي داخل أذربيجان ويسكنها الأرمن، إلى اندلاع حربٍ بين أذربيجان وأرمينيا عُرفت بحرب قره باغ الأولى. وعندما جرى التوصل إلى هدنة من خلال الوساطة الروسية في أيار/مايو 1994، كانت القوات الأرمينية قد احتلت ما يقارب عشرة في المئة من أراضي أذربيجان، بما في ذلك إقليم ناغورنو قره باغ، وأنشأت هناك ما يُسمّى بجمهورية آرتساخ. ومنذ ذلك الحين، اعتمدت إيران على روسيا للحفاظ على الوضع الراهن الذي تحقّق بموجب وقف إطلاق النار في عام 1994، واستفادت من حالة الجمود بين الدولتين المجاورتين المتنازعتين. غير أنّ التحوّل الأخير الذي حصل لصالح أذربيجان بعد تجدد النزاع، قد أثار المخاوف في إيران؛ إذ رأى

30 Syed Zafar Mehdi, "Azerbaijan Evacuates Embassy in Iran after Armed Attack," *Anadolu Ajansi*, 30/1/2023, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/38ka6v9s>

31 Syed Zafar Mehdi, "Iran Says 'Won't be Indifferent' to Israel's 'United Front' with Azerbaijan," *Anadolu Ajansi*, 31/3/2023, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/3tacxawp>

32 "Iran Lashes Out as Azerbaijan Opens Embassy in Israel," *Al-Monitor*, 31/3/2023, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/yc42a7ux>

33 Mehdi, "Iran Says 'Won't be Indifferent' to Israel's 'United Front' with Azerbaijan."

34 "Iran Expels Four Azerbaijani Diplomats," *VOA*, 5/5/2023, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/yc4yrwff>

المعارضون الإيرانيون أنْ انشغال إيران بمسائل الشرق الأوسط، بما في ذلك الجدل بشأن الملف النووي، قد دفع طهران إلى التقليل من أهمية التطورات الإقليمية في القوقاز، ما حال دون قدرتها على فهم التطورات الأخيرة في المنطقة³⁵. ووصف المحلل الإيراني محمد أخباري ذلك بأنه «إهمال استراتيجي»³⁶. ونتيجة لذلك، لم تؤدِّ الجمهورية الإسلامية دوراً فعالاً في التطورات الأخيرة في جنوب القوقاز، وتحوّلت بذلك إلى طرفٍ يؤدي دوراً تفاعلياً وغير فعّالٍ. وإضافةً إلى ذلك، فرضت تداعيات حرب قره باغ الثانية تحديات جيوسياسية جديدة على إيران.

لقد تراجع موقع إيران الإقليمي، إذ باتت تحتلّ موقعاً ثانوياً على الرغم من مزاعمها بأنها تؤدي دوراً تاريخياً، وتتمتع بتأثير ثقافي في جنوب القوقاز. ويُعزى ذلك إلى فشل محاولات إيران في التوسط بين الطرفين المتنازعين، وغيابها عن اتفاق موسكو الذي وضع حدّاً للاشتباكات المسلّحة. صحيحٌ أنّ تركيا ليس لها حدود مشتركة مع منطقة قره باغ، لكنها اضطلعت بدور المراقب لعملية تنفيذ الهدنة. أما إيران، التي يبلغ طول حدودها الفعلي 800 كيلومتر مع الطرفين المتنازعين، فقد استبعدت ولم تؤدِّ أيّ دور يُذكر³⁷. ويبدو أنّ هدف إيران من عرضها صيغة «3+3» لتأمين الاستقرار والأمن في المنطقة، كان لاستعادة دورها الإقليمي، ولكن محاولتها باءت بالفشل.

لقد ساهمت هزيمة أرمينيا في تراجع موقع إيران الإقليمي. وعلى خلاف تركيا التي قطعت علاقاتها بأرمينيا بعد اندلاع النزاع المسلّح بشأن ناغورنو قره باغ، أعلنت إيران من جهتها أنها اتخذت موقفاً محايداً في النزاع، واعتمدت نهجاً متوازناً تجاه الطرفين المتنازعين³⁸، ما يتيح لها الحفاظ على علاقات وثيقة مع أرمينيا. وعلاوة على ذلك، بقيت الحدود بين إيران وأرمينيا بمنزلة طريق حيوية بالنسبة إلى الأخيرة³⁹. واستفادت إيران من التعاون مع أرمينيا، خاصةً في مجالات الطاقة والنقل والثقافة. وكان المشروع الرئيس هو بناء خط أنابيب غاز بينهما، دخل حيّز التنفيذ في آذار/ مارس 2007. ووفقاً لصفقة التبادل بينهما، فقد عملت إيران على تصدير الغاز إلى أرمينيا مقابل استيراد الكهرباء. أما أرمينيا، فقد افتتحت المنطقة الاقتصادية الحرّة في منطقة ميغري الحدودية لإيران، بهدف تعزيز العلاقات الثنائية على الصعيدين التجاري والاقتصادي⁴⁰. وفي عام 2016، ألغت الدولتان أيضاً متطلبات الحصول على تأشيرة دخول للمواطنين الإيرانيين والأرمن.

احتلتّ القوّات الأرمينية مناطق زنجيلان وجبرائيل وفوزولي الأذربيجانية خلال حرب ناغورنو قره باغ الأولى (1994-1991)، وتكون بذلك قد سيطرت على 135 كيلومتراً تقريباً من الحدود الإيرانية - الأذربيجانية. ومن ثم، أصبحت إيران «متاخمة لمنطقة رمادية» تسيطر عليها القوات الأرمينية، ولكنها لا تزال تُعدّ جزءاً من أذربيجان⁴¹. صحيحٌ أنّ إيران لم تعترف رسمياً بالاحتلال الأرميني، إلا أنها استفادت من ذلك؛ فطوّرت آليات تعاون مثل بناء

35 حميد احمدى [وآخرون]، "بحران در قفقاز و امنيت ملي ايران پرونده اي در باب مسأله قره باغ" [أزمة القوقاز والأمن القومي الإيراني: قضية كاراباخ]، مركز پژوهش های علمی و مطالعات استراتژیک خاورمیانه [مركز الشرق الأوسط للأبحاث العلمية والدراسات الإستراتيجية]، 2021/2/13، شوهد في 2024/5/20، في:

<https://tinyurl.com/mr36hts3>

36 محمد اخباري، "پیامد ژئوپلیتیک بحران قره باغ بر مناسبات جمهوری اسلامی ایران در قفقاز" [التداعيات الجيوسياسية لأزمة كاراباخ على علاقات الجمهورية الإسلامية الإيرانية في القوقاز]، **امایش سیاسی فضا** [تخطيط الفضاء السياسي]، مج 3، العدد 1 (2021)، ص 27.

37 المرجع نفسه.

38 Has, Kaleji & Markedonov, p. 12.

39 مهدي عباس زاده فتح آبادي حسين ومعين آبادي بيدگلي ومهديه دوست حسيني، "تحليل سازه انكارانه چرخش در سياست خارجي ايران در برابر بحران قره باغ (2020)" [التحليل البنائي للتحول في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه أزمة ناغورنو كاراباخ (2020)]، **مطالعات اوراسيائي مركزي** [الدراسات الأوراسية الوسطى]، مج 14، العدد 2 (2021)، ص 235.

40 Benjamin Poghosyan, "Armenia - Iran Relations and their Perspectives after the 2020 Karabakh War," *New Geopolitics*, 25/5/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/3st9x9au>

41 Kaleji, "The 2020 Karabakh War's Impact on the Northwestern Border of Iran."

محطات لتوليد الطاقة المائية التي تؤمّن المياه والكهرباء للمناطق الحدودية الإيرانية، فضلاً عن بناء جسور فوق نهر آراس. وأفادت التقارير أنّ إيران أنشأت علاقات تجارية مع قره باغ الخاضعة للحكم الأرميني، والتي حملت اسم جمهورية ناغورنو قره باغ أو آرتساخ، والتي رأت في «إيران حليفاً طبيعياً»⁴².

يبدو أنّ إيران كانت تفضّل، إلى جانب علاقاتها الوثيقة بأرمينيا، الحفاظ على الوضع الراهن والحكم الذاتي «الفعلي» في قره باغ كونهما يخدمان مصالحها الإقليمية⁴³. في حين انشغلت أذربيجان بالاحتلال بسبب النزاع الطويل الأمد، ما جعلها ضعيفة إلى درجة لا تشكّل فيها تحدياً كبيراً بالنسبة إلى إيران. وأدّى النزاع المستمرّ بين أذربيجان وأرمينيا إلى عزلة الأخيرة بصورة افتراضية، ما فرض عليها الاعتماد على إيران لأغراض اقتصادية وتجارية⁴⁴، ومن ثمّ أصبحت العلاقات بين إيران وأرمينيا مستقرّة ووديّة.

لكنّ أرمينيا أصبحت بعد الحرب الأخيرة ضعيفة، ما دفعها إلى قبول شروط وقف إطلاق النار التي فرضتها أذربيجان. وقد استعادت أذربيجان سيادتها المتعلقة بالجزء الشمالي من حدودها مع إيران، إضافة إلى تحرير مناطق زنجيلان وجبرائيل وفوزولي. وبناءً عليه، فقدت إيران قدرتها على الوصول المباشر إلى قره باغ، ما دفعها إلى وضع حدّ لتجارها «غير الشرعية» مع المنطقة وتقليص طول حدودها مع أرمينيا إلى 44 كيلومتراً. وشكّلت استعادة أذربيجان السيطرة على الحدود الشمالية لإيران تحديات إضافية وجديدة بالنسبة إلى طهران، تمثل أولها في الزيادة المحتملة للوجود الاستخباراتي والأمني لإسرائيل، التي تحوّلت إلى شريك استراتيجي لأذربيجان⁴⁵. ورأى المسؤولون الإيرانيون أنّ العلاقات المتنامية بين أذربيجان وإسرائيل تشكّل تهديداً خطيراً لأمن إيران. وتعتقد إيران أنه بسبب تزايد النفوذ الإسرائيلي في سياسات أذربيجان، قد تستخدم إسرائيل أراضي الأخيرة للتجسس أو تنفيذ عمليات استخباراتية وعسكرية ضد إيران⁴⁶. وأعرب المسؤولون الإيرانيون عن قلقهم من الدعم الإسرائيلي المحتمل للتيارات المؤيدة لفكرة القومية التركية. ونُقل عن قائد القوات البرية في الجيش الإيراني، العميد كيومرث حيدري، قوله: «منذ وصول هذا النظام [إسرائيل]، ازداد شعورنا بأهميّة هذه الحدود»⁴⁷.

وتمثّل التحدي الثاني الذي واجهته إيران بعد استعادة أذربيجان لسيادتها على الحدود في تعزيز المشاعر المعادية لإيران في أذربيجان. وإضافةً إلى ذلك، يمكن أن يؤدي النصر الأذربيجاني إلى إنعاش النزعات القومية العرقية لدى الشعوب الناطقة باللغتين التركية والأذرية في إيران. وقد اتّهمت وسائل الإعلام الإيرانية أذربيجان بالتحريض على القيام بأنشطة مناهضة لإيران، والمطالبة باستعادة أراضي في محافظات شمال غرب إيران، ما شكّل تهديداً خطيراً للأمن القومي وسلامة الأراضي في إيران⁴⁸.

42 "The Republic of Artsakh Sees Iran as a Natural Ally," *Aravot*, 18/10/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/48cfda7u>

تُستخدم الشاحنات الإيرانية لنقل الوقود والبطاريات بين أرمينيا وإقليم قره باغ. وإضافةً إلى ذلك، أفادت بعض التقارير أنّ بعض البنوك والشركات الإيرانية استخدمت المنطقة بوصفها مركزاً لغسل الأموال. وزعم المسؤولون الأذربيجانيون أيضاً أن الجزء من حدود الدولة الذي يبلغ طوله 130 كيلومتراً بين أذربيجان وإيران - والذي كان تحت السيطرة الأرمينية مدة 30 عامًا تقريباً - كان طريقاً لتهرب المخدرات من إيران إلى أوروبا عبر أرمينيا.

"Drug Trade between Iran's Islamic Revolutionary Guard Corps with Armenia," *Azvision*, 2/11/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/bcxvbmkc>

43 Clément Therme, "Iranian Foreign Policy towards the South Caucasus: between Revolutionary Ideals and Realpolitik," in: Annie Jafalian (ed.), *Reassessing Security in the South Caucasus* (London: Routledge, 2016), p. 5.

44 Kavus Abushev, "The Nagorno Karabakh Conflict as a Part of the 'New' Eurasian Geopolitics," *Ankara Üniversitesi SBF Dergisi*, vol. 60, no. 3, (2005), p. 22.

45 Kaleji, "The 2020 Karabakh War's Impact on the Northwestern Border of Iran."

46 Alex Vatanka, "Azerbaijan and Israel's Encirclement of Iran," Middle East Institute, 5/10/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/5ax28ppz>.

47 Esfandiari.

48 Khoshnood & Khoshnood.

يشكل ممر زنگزور المرتقب ضربةً أخرى لموقع إيران في جنوب القوقاز. وكما ذكر سابقاً، فقد نصّ إعلان موسكو على تنظيم حركة المواطنين والمركبات والبضائع من دون عوائق بين أذربيجان وجمهورية ناخيتشيفان الأذربيجانية الذاتية الحكم عبر الأراضي الأرمينية. صحيح أنه لم يُقدّم تفسير واضح عن «روابط النقل» التي نصّ عليها الإعلان حتى الآن، إلا أن أذربيجان رأت أن الممر لا يربطها بناخيتشيفان فحسب، بل أيضاً بتركيا التي لديها حدود مشتركة بطول 13 كيلومتراً معها. ومن ثمّ، سيؤدي بناء ممر زنگزور إلى خسارة إيران لرسوم العبور التي كانت تحصل عليها من شاحنات النقل التركية المتجهة إلى أذربيجان. لكن ما يثير قلق طهران أكثر هو احتمال أن يتحوّل ممر زنگزور إلى «ممرّ طوران»⁴⁹، إذ يربط الكثيرون في تركيا أنه بمنزلة منفذٍ لـ «بوابة استراتيجية إلى الدول التركية في آسيا الوسطى»⁵⁰. ومن بين الآثار الأخرى المترتبة على إيران من جرّاء ممرّ زنگزور المتوقع، هو فقدانها نفوذها على أذربيجان؛ إذ كانت أذربيجان، التي لا تملك حالياً منفذاً برياً إلى ناخيتشيفان، تستخدم الأراضي الإيرانية للنقل، ما ساهم في أن تتمتع طهران بقوة ضغط على باكو. وبعد خسارة إيران لنفوذها المؤثر في أذربيجان، قد تصبح أكثر عرضةً لتهديدات القومية التركية. وعلاوة على ذلك، قد يدفع الغموض الذي يحيط بـ «روابط النقل» والمقاومة الأرمينية لها، أذربيجان إلى استخدام القوة والاستيلاء على شريط في الجزء الجنوبي من أرمينيا، ما يؤدي فعلياً إلى فصل حدود إيران المشتركة مع أرمينيا. إن أسوأ سيناريو بالنسبة إلى طهران هو أن تكون أذربيجان الدولة الوحيدة المجاورة لها عند حدودها الشمالية الشرقية، ما قد يهدّد عملية وصول إيران إلى موانئ البحر الأسود، ومن ثمّ إلى أوروبا⁵¹.

أثبتت حرب الـ 44 يوماً تفوق أذربيجان العسكري، الذي عزّزته قدرتها الاقتصادية المتنامية بسبب صادراتها من الطاقة إلى حد بعيد. وقد بنت أذربيجان قوتها العسكرية من خلال عمليات شراء المعدات العسكرية والتعاون في مجال الدفاع مع إسرائيل وتركيا، اللتين قدّمتا الدعم العسكري لها وحوّلتها إلى شراكات استراتيجية متزامنة مع تعاون اقتصادي متزايد. لقد كانت تركيا دولةً منافسةً لإيران فترةً طويلةً في بسط النفوذ في جنوب القوقاز. وبعد حرب قره باغ، عزّزت تركيا تعاونها مع أذربيجان في مجال الدفاع، وأجرت مناورات عسكرية مشتركة. وقد رحّب الإعلام التركي بعملية نشر الجنود الأتراك في أذربيجان، بوصفها جزءاً من مهمة عسكرية مشتركة روسية - تركية، تهدف إلى مراقبة عملية وقف إطلاق النار. ووصف الإعلام التركي هذه الخطوة بأنها «عودة الجنود الأتراك إلى أذربيجان بعد 102 عام»⁵². وإضافةً إلى ذلك، انخرطت الشركات التركية على نحو فعّال في مشاريع البنى التحتية وإعادة إعمار الأراضي المحرّرة. صحيح أن إيران كانت تتطلّع إلى فرصة المشاركة في إعادة إعمار أراضي أذربيجان التي تضرّرت بفعل الحرب، وأعلنت، في كلّ مناسبة، عن استعدادها للمساعدة في إعادة الإعمار، إلا أنها لم تتمكن من تأدية مثل هذا الدور. وبما أن إسرائيل هي العدوّ المُعلن لإيران، فقد باتت تنظر بقلقٍ شديدٍ إزاء شراء أذربيجان المعدات العسكرية من إسرائيل، بما في ذلك أنظمة الطائرات من دون طيار، التي يمكن أن تسمح لإسرائيل بالتجسس على أهداف داخل إيران⁵³. لقد أدّت استعادة أذربيجان لسيادتها على الأراضي التي كانت محتلة سابقاً إلى تفاقم الشعور بالقلق لدى إيران بشأن إمكانية

49 "نفوذ ناتو هدف درگیری های منطقه است/ رویای دالان توران تعبیر نمیشود" [نفوذ الناتو هو هدف الصراعات في المنطقة: حلم دالان توران لا يفسر]. الف، 2022/9/23، شوهد في 2024/5/20، في: <https://tinyurl.com/5xh3dyd4>؛ سالار سيف الدين، "این ره که تو می روی به ترکستان است!" [هذه هي الطريقة إلى تركستان!]. شبكة شرق [شبكة الشرق]، 2022/8/29، شوهد في 2024/5/20، في: <https://tinyurl.com/bdhsenz>

50 Fehim Tastekin, "How Realistic are Türkiye's Ambitions Over Strategic Corridor with Azerbaijan," *Al-Monitor*, 4/12/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/yc6aft3j>

51 "بلندپروازی در باکو" [الطموح في باكو]، شبكة شرق [شبكة الشرق]، 2022/8/29، شوهد في 2024/5/20، في: <https://tinyurl.com/39y9tfs5>

Yeghia Tashjian, "Why is Baku Waging a 'War of Words' Against Tehran?" *The Armenian Weekly*, 7/9/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/4p7tx9vz>

52 Okan Yesilot, "Türk askeri 102 yıl sonra yeniden Azerbaycan'da," [عودة الجنود الأتراك إلى أذربيجان بعد 102 عام]، *Anadolu Ajansı*, 19/11/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/yyv6zpt5>

53 Kaleji, "The 2020 Karabakh War's Impact on the Northwestern Border of Iran."

وجود أجهزة استخباراتية وأمنية إسرائيلية في الجزء الشمالي من حدودها مع أذربيجان. ولم يؤدّ حديث كوهين عن «جبهة موحّدة» ضد إيران إلّا إلى مضاعفة مخاوف طهران.⁵⁴

لم تُضعف التطوّرات الإقليمية التي أعقبت حرب قره باغ الثانية موقف إيران في جنوب القوقاز فحسب، بل فرضت أيضًا تحديات إضافية عليها. وقد عزّزت النكسات الجيوسياسية التي شهدتها إيران خلال هذا المسار، مخاوفها بشأن صعود القومية التركية، المستمّدة من النفوذ الأذربيجاني والتركي المتزايد في جنوب القوقاز. إذًا، لماذا تشعر إيران بالقلق تجاه أذربيجان، وبتهديد القومية التركية؟

ثالثًا: ظهور «هاجس» القومية التركية

منذ نشأة أذربيجان دولةً مستقلّة، أوّلًا في عام 1918، ومن ثمّ بعد استعادة استقلالها في عام 1991، سعى القادة الأذربيجانيون إلى تطوير هوية جديدة لشعبهم تميّزهم من الهوية الإيرانية. تأسست الهوية الأذرية انطلاقًا من لغة الأذريين التركية، ما جعلهم أقرب إلى فكرة القومية التركية. وبما أن الهوية الأذرية وضعت نفسها في مواجهة الهوية الإيرانية، فقد نتج من ذلك توتر في العلاقات بين أذربيجان وإيران. وما يجعل المشهد أكثر تعقيدًا هو وجود عدد كبير من الناطقين باللغتين التركية والأذرية - يُقدّر عددهم بنحو 25 مليون شخص - في مقاطعة أذربيجان التاريخية في إيران، في شمال غرب البلاد، والمقسّمة حاليًا إلى أربع محافظات مختلفة. تتنافس القوميتان الإيرانية والأذرية على النفوذ الثقافي والهوية العامة للشعوب الناطقة بالتركية في شمال غرب إيران. وقد سعى المسؤولون والقوميون الإيرانيون إلى تعزيز الهوية «الأذرية» لديهم مقابل الهوية الأذربيجانية - التركية، واهتموا منافسيهم بممارسة سياسات تنادي بالقومية التركية والأذرية، والتي تهدف إلى توحيد «أذربيجان الجنوبية» مع أذربيجان الواقعة شمال آراس.⁵⁵ وبناءً عليه، باتت إيران تواجه، منذ تشكيل دولة أذربيجان المستقلّة، هاجس فكرة القومية التركية المتّحدة بفكرة القومية الأذرية.

ووفقًا للتقييمات الإيرانية، شهد التاريخ عدّة موجات من القومية التركية.⁵⁶ ظهرت الموجة الأولى في أوائل القرن العشرين عندما روّج لها الأتراك العثمانيون، وانتهت بتأسيس دولة أذربيجان بقيادة محمد أمين رسول زاده في جنوب القوقاز. وأنت السيطرة السوفياتية على القوقاز لتزيل تهديد القومية التركية في إيران، إلّا أنّ الاتحاد السوفياتي روّج بعد ذلك للموجة الثانية من القومية التركية خلال احتلاله شمال إيران في الحرب العالمية الثانية. وانتهت هذه الموجة بإنشاء الحكومة الوطنية الأذرية المستقلة لتي لم تدُم طويلًا. غير أنّ المصالح السوفياتية في دعم القومية الأذرية تلاشت بموجب تسويات ما بعد الحرب، واستعادت إيران سيادتها على أذربيجان التاريخية. وبعد تفكّك الاتحاد السوفياتي، ازدادت مخاوف إيران من فكرة القومية التركية مع تولي الشيبلي رئاسة جمهورية أذربيجان. وبعد إطاحته في انقلاب عسكري، اتخذت جمهورية أذربيجان في عهد حيدر علييف سياسات تسوية تجاه إيران. ولكن تطوّر الأحداث التي أعقبت حرب قره باغ الثانية، التي انتهت بتحرير أذربيجان لأراضيها التي كانت تحت الاحتلال الأرمني أكثر من ثلاثين عامًا، أعاد إحياء التهديد بالقومية التركية.

⁵⁴ Vali Kaleji, "The Israel Factor as a 'Third Party' in Growing Tensions between Iran and Azerbaijan," *Eurasia Daily Monitor*, 8/5/2023, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/24kc2nz8>

⁵⁵ Hamid Ahmadi, "The Clash of Nationalisms: Iranian Response to Baku's Irredentism," in: Mehran Kamrava (ed.), *The Great Game in West Asia: Iran, Turkey, and South Caucasus* (Oxford: Oxford University Press, 2017), pp. 105 - 140.

⁵⁶ Kaveh Farrokh, "Pan-Turanism Takes Aim at Azerbaijan: A Geopolitical Agenda," *The Circle of Ancient Iranian Studies (CAIS)* (2016), accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/2ajx63hk>

تمحورت هذه الموجة الجديدة من القومية التركية في إيران حول ظاهرتين مختلفتين. تمثلت الظاهرة الأولى في تنامي القومية العرقية الأذرية بين الأذريين الإيرانيين، الذين يشكلون ربع إلى ثلث السكان الإيرانيين ويتركزون في شمال غرب البلاد، وهم أحد أهم العوامل التي تساهم في صوغ سياسات إيران تجاه جنوب القوقاز⁵⁷. تقوم القومية العرقية بين الأذريين الإيرانيين، والتي توسم بأنها قومية تركية، على نحو أساسي على لغة متميزة. وقد نشأت هذه القومية العرقية في عشرينيات القرن الماضي بوصفها ردّة فعل على حظر لغتهم في ظلّ حكم رضا شاه. وتبلورت هذه القومية بعد عزل الحلفاء لرضا شاه بعد أن احتلوا إيران في عام 1941 وسيطرة السوفييات على شمال إيران. غير أنه بعد القضاء على الحكومة الوطنية الأذرية بقيادة جعفر بيشفاري، تعرّضت التيارات العرقية القومية بين الأذريين الإيرانيين للتهميش بشدة. وقد أثّرت المطالب العرقية القومية بين الأذريين الإيرانيين مرّةً أخرى في تسعينيات القرن الماضي، أولاً بين طلاب الجامعات، ثم بين الجمهور الأوسع، كما أتضح من عشرات الآلاف من الأشخاص الذين شاركوا في إحياء ذكرى [القائد العسكري التاريخي] بابك خرمدين، الذي تحوّل إلى رمز للقومية العرقية الأذرية. وإضافةً إلى ذلك، تناول السياسيون الأذريون الإيرانيون المطالب العرقية القومية في حملاتهم الانتخابية وأنشطتهم السياسية⁵⁸. وتزايدت المخاوف الداخلية في إيران بشأن القومية التركية والأذرية مع تنامي عدد المشجعين للقومية التركية في نادي تراكتورسازي الشهير لكرة القدم في تبريز، فضلاً عن اندلاع الاحتجاجات العامة المتفرقة، وإن كانت واسعة النطاق، اعتراضاً على التمييز المزعوم والإهانات في حقّ اللغة والشعب الأذريين. وعلاوة على ذلك، استقطب القوميون العرقيون الأذريون الإيرانيون العديد من الحركات السياسية، منها ما نُظّم في المنفى ومنها ما عمل سرّاً. وقد أتاحت استعادة سيطرة باكو على الحدود مع إيران فرصاً إضافية للتفاعلات المباشرة بين الأذريين الذين يعيشون على جانبي نهر آراس⁵⁹. أما ما أثار قلق إيران بشأن سكّانها الأذريين فكان عندما بدأت بعض وسائل الإعلام، التي يُرغم ارتباطها بحكومة أذربيجان، في نشر مقالات تناقش مسألة انفصال «أذربيجان الجنوبية» عن إيران⁶⁰.

أما الظاهرة الثانية التي عزّزت التصور الإيراني لوجود تهديد القومية التركية، فتمثلت في القوّة المتصاعدة لمحور أذربيجان - تركيا في جنوب القوقاز. فقد نظر الإيرانيون، فترةً طويلةً، إلى العلاقات المتنامية بين تركيا وأذربيجان من منظور القومية التركية. ورأى حميد أحمددي أن تركيا من خلال وجودها في جمهورية أذربيجان، تمكنت من إنشاء «طريق سريع قومي تركي» للوصول إلى جنوب القوقاز وآسيا الوسطى⁶¹. ووفقاً لمحسن باك آيين، السفير الإيراني السابق في أذربيجان (2012-2016)، «اجتمعت القومية الأذرية والقومية التركية» على أساس اللغة المشتركة والهوية الموروثة⁶². وقد سعت تركيا، من أجل تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية والأمنية، إلى تعزيز القومية التركية في وجه الهوية الشيعية بين الأذريين، وفقاً للتقييمات الإيرانية⁶³. وكان القوميون الإيرانيون يتوجسون من أجندة القومية التركية المزعومة لدى تركيا، والتي تستهدف الشعوب الناطقة باللغة التركية الممتدة من البلقان، عبر شعب أذربيجان في إيران، وصولاً إلى تركستان الشرقية في

57 Abushev.

58 Ghadir Golkarian, "The Prospect of Ethnic Nationalism in Iranian Azerbaijan," International Journal of Political Science, vol. 3, no. 1 (2017), pp. 14 - 22.

59 Brenda Shaffer, "The Armenia-Azerbaijan War: Downgrading Iran's Regional Role," The Central Asia-Caucasus Analyst, 25/11/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/bcbu4nmd>

60 "The Time has Come: South Azerbaijan must Secede from Iran," Caliber.az, 26/8/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/2pzt9vdk>

61 احمددي [وآخرون].

62 محسن باك آيين، "تركيبه به دنبال بردن جمهوری آذربایجان زیر چتر پان ترکیسم" [تهدف تركيا إلى وضع جمهورية أذربيجان تحت مظلة القومية التركية]، خبرگزاری آنا [وكالة آنا للأنباء]، 2018/1/17، شوهد في 2024/5/20، في: <https://tinyurl.com/ynt5k2n6>

63 صادق ملكي، "ایران و تله پانترکیسم و ایرانشهری" [إيران والقومية التركية والإيرانية]، دبلوماسی ایرانی [الدبلوماسية الإيرانية]، 2021/10/12، شوهد في 2024/5/20، في: <https://tinyurl.com/cv2ehkf4>

الصين⁶⁴. وبناءً عليه، رأت طهران في الدعم الفعّال الذي قدّمته تركيا إلى أذربيجان، خلال حرب قره باغ الثانية، أنه «يصبّ الزيت على النار»⁶⁵. ونتيجة لذلك، أدّى نفوذ تركيا وأذربيجان المتزايد بعد الحرب، ولا سيّما ممّر زنجور المرتقب، إلى زيادة المخاوف الإيرانية بشأن القومية التركية. وتوقّع أحد المحلّلين أنه إذا دخلت تركيا إلى أذربيجان عبر ناخيتشيفان فسيتمحوّل شمال آراس إلى بوابة تركية (بوابة طوران) للوصول إلى حوض بحر قزوين، ما سيشكل «كارثة استراتيجية وجيوسياسية لإيران»⁶⁶.

على هذه الخلفية، ساهم عدد من الأحداث في تصوّر إيران لتنامي فكرة القومية التركية في أعقاب حرب قره باغ الثانية. أولاً، تعبئة الأذريين الإيرانيين في العديد من المدن، خلال حرب قره باغ، لتنظيم تظاهرات تضامناً مع إخوانهم الأذريين شمال آراس، والاحتجاج على عملية نقل الأسلحة المزعومة إلى أرمينيا عبر الأراضي الإيرانية⁶⁷. وثمة تطور آخر أثار قلق إيران وغضبها، وذلك عندما تلا الرئيس التركي أردوغان بعض الأبيات الشعرية عن نهر آراس خلال العرض العسكري في باكو في 10 كانون الأول/ ديسمبر 2020، قال فيها: «لقد فرّقوا آراس، وأغرقوه بالرمال، أما أنا فلم أكن أريد، لقد فرقونا ظلماً»⁶⁸. ووفقاً لأغلبية الإيرانيين، كانت القصيدة التي ألحها أردوغان في باكو رمزاً انفصالياً لتحقيق القومية التركية⁶⁹؛ إذ أشار ضمناً إلى أنّ المحافظات الإيرانية التي يقطنها الأذريون تشكل جزءاً من جمهورية أذربيجان، وهو ما وصفته طهران بأنه تشكيك «تطوّلي وغير مقبول» في سلامة الأراضي الإيرانية⁷⁰. وغرّد ظريف قائلاً إنّ أردوغان أخطأ، لأنّ أذربيجان هي التي انفصلت قسراً عن إيران⁷¹.

في السياق نفسه، قرّرت حكومة أذربيجان تغيير تاريخ «عيد الاستقلال» الرسمي من 18 تشرين الأول/ أكتوبر 1991 إلى 28 أيار/ مايو 1918، وهو تاريخ تأسيس جمهورية أذربيجان. ورأى القوميون الإيرانيون أنّ هذه الخطوة تدلّ على تبنيّ الرئيس علييف لإرث محمد أمين رسول زاده، رائد القومية الأذرية المتأصلة في القومية التركية⁷².

أخيراً، أثار الخطابان المتتاليان، اللذان ألقاهما الرئيس علييف في تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، قلق طهران، وزادا من مخاوفها بشأن القومية التركية. وقال علييف في كلمته أمام اجتماع القمة التاسع لمنظمة الدول التركية، الذي عقد في تشرين الثاني/ نوفمبر 2022 في سمرقند: «العالم التركي ليس فقط دولاً تركية مستقلة، وحدوده الجغرافية واسعة جداً [...] يجب أن يكون جيل الشباب في العالم التركي قادراً على الدراسة بلغته الأم في البلدان غير التركية. للأسف، فإنّ غالبية السكان البالغ عددهم 40 مليون نسمة من الأذريين الذين يعيشون على طول حدود جمهورية أذربيجان محرومون من هذه الإمكانيّة»⁷³.

64 Alex Vatanka, "Iran, Türkiye, and the Future of the South Caucasus," Middle East Institute, 4/5/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/4v3cydrk>

65 "Iran Criticizes Türkiye's Role in Nagorno-Karabakh Conflict," *Al-Monitor*, 6/10/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/2v6szhpn>

66 Akhbari, p. 25.

67 Gasimov, p. 212.

68 Mohammad Mazhari, "Her Sözü'n bir yeri var," [يجب أن يكون كل تعليق ملائماً] *Tehran Times*, 13/12/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/b8p9ehcw>

69 Ibid.

70 Ibid.

71 "Iran Summons Turkish Ambassador over Erdogan's Poem on Territorial Integrity," *Tehran Times*, 11/12/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/knhd7db5>

72 سالار سيف الدين، "تحليلي بر تغيير 'روز استقلال' در همسايه شمالی" [تحليل عن تغيير 'عيد الاستقلال' في الجار الشمالي]، **شبكة شرق** [شبكة الشرق]، 2022/10/19، شوهد في 2024/5/20، في: <https://tinyurl.com/mrdzfhf>

73 "Speech by Ilham Aliyev at the 9th Summit of Organization of Turkic States," Website of the President of the Republic of Azerbaijan Ilham Aliyev, 11/11/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/r5upmch8>

وفي وقتٍ لاحقٍ، أعرب علييف في كلمةٍ ألقاها خلال مؤتمرٍ دولي في باكو في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، عن استيائه من الوضع الحالي للعلاقات بين أذربيجان وإيران، واعترض على المناورات العسكرية الإيرانية المتكررة قرب الحدود المشتركة. وأعرب أيضاً عن اعتراضه عن ترويج إيران للإسلام الشيعي بين شعب أذربيجان. وأضاف بعد أن عدّ شكواه ضد طهران: «سنبذل قصارى جهدنا لحماية نمط الحياة العلماني لأذربيجان والأذريين في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الأذريون في إيران. إنهم جزء من شعبنا»⁷⁴. وهكذا، وأول مرّة منذ حكم الشيبلي القصير المدى، تحدّث مسؤول أذري رفيع المستوى عن «حماية» الأذريين الإيرانيين على أساس الهوية المشتركة. أما إيران، فقد رأت أن توجّه علييف إلى الأذريين الإيرانيين بوصفهم مواطنين أذربيجانيين، ودعوته إلى حماية حقوق لغتهم، تدخّل في شؤونها الداخلية. ورأت أن ذلك يدلّ على عزم القيادة الأذربيجانية على «تقويض العلاقات بإيران»⁷⁵. فاستدعت وزارة الخارجية الإيرانية سفير أذربيجان، وأعربت عن استيائها من التصريحات غير الودية لكبار المسؤولين الأذربيجانيين⁷⁶.

خاتمة

أصبح خطاب السياسة الخارجية الإيرانية لازمة متكررة في اتهام الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل في تحديات للجمهورية الإسلامية الإيرانية والدول المجاورة لها. وعند النظر إلى التحوّل الجيوسياسي الذي بلغت ذروته عندما تعرّضت طهران لانتكاسات كبيرة، إضافةً إلى هاجس القومية التركية المتصاعد، رأى العديد من المحلّلين الإيرانيين أن حرب قره باغ الثانية وما تلاها جزء من «مؤامرة إقليمية» ضد إيران⁷⁷. وبناءً على ذلك، نشأ، خلال العامين الماضيين، تحالف جديد بين الولايات المتحدة وتركيا وأذربيجان وإسرائيل يهدف إلى إحداث تغيير جيوسياسي ينجم عنه تداعيات استراتيجية ضد إيران. وكان دور تركيا وأذربيجان في هذا المخطط يكمن في توسيع النفوذ الأميركي ليشمل المناطق الخلفية لروسيا وإيران، والمساهمة في زرع بذور الفتنة العرقية⁷⁸. حتى إنّ المسؤولين الإيرانيين نظروا إلى التفاهم التركي - الأذربيجاني على أنه وسيلة لتحقيق ما يسمى بأجندة القومية التركية، التي أعدتها إسرائيل والولايات المتحدة، ودعمتها دعماً كاملاً⁷⁹. على سبيل المثال، صرّح أحمد دستمالشيان، وهو دبلوماسي سابق، بما يلي «ما تفعله أذربيجان مع تركيا وإسرائيل هو مشروع إسرائيلي» يهدف إلى إحداث تأثير تراكمي من خلال تحريض الأقليات العرقية في المنطقة وافتعال الاضطرابات وإضعاف هيكل الدولة، وإشعال حرب بين أذربيجان وإيران⁸⁰. لذلك، فإنّ اتهام المسؤولين الإيرانيين جهاتٍ أجنبيةً بأنها تقف وراء صعود القومية التركية، سواء في المنطقة أو داخل إيران، يهدف إلى احتواء التيارات القومية العرقية بين الأذريين الإيرانيين، وتهميشها.

74 Tolga Özgenç, "Azerbaijan to Protect all Azerbaijanis, Including Those in Iran: President," *Anadolu Ajansi*, 25/11/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/bddsujnm>

75 Mehran Shamsuddin, "Mr. Aliyev this is Simorgh Arena," *Tehran Times*, 13/11/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/yc6hxyyv>

76 "Iranian Lawmakers Warn Azerbaijan President Over 'Compatriots' Comment," *Tehran Times*, 14/11/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/23abuads>

77 "Iran's Defeat in The Second Nagorno-Karabakh War – Part II: Iranian Threats Against Azerbaijan, Türkiye, And Israel," *Report*, Middle East Media Research Institute (MEMRI), 19/11/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/4kwjws8k>;

"نفوذ ناتو هدف درگیرسهای منطقه است."

78 "Iran's Defeat in The Second Nagorno-Karabakh War."

79 Vatanka, "Iran, Türkiye, and the Future of the South Caucasus."

80 A. Savyon, "Iran's Defeat in the Second Nagorno-Karabakh War – Part I: Geopolitical and Economic Ramifications," *Report*, Middle East Media Research Institute (MEMRI), 25/10/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/5hdct5zb>

اعتمدت إيران على مجموعة من الأدوات الدبلوماسية والعسكرية بهدف التصدي لعملية تهميشها من سياسات جنوب القوقاز، وتحقيق التوازن بين أذربيجان والتهديدات المتصورة الناجمة عن الجغرافيا السياسية الجديدة لجنوب القوقاز، بما في ذلك القومية التركية. أولاً، أيد المسؤولون الإيرانيون ظاهرياً دعوة أذربيجان لانسحاب القوات الأرمينية من المناطق المحتلة. غير أنه لم يكن دعماً كاملاً، إذ رافقه بعض التحفظات. على سبيل المثال، في حين كان علي أكبر ولايتي، كبير مستشاري خامنئي، يتحدث عن الانسحاب الأرميني من المناطق السبع المحتلة في أذربيجان، أكد أنّ «مثل هذه العملية يجب أن يتمّ تنفيذها سياسياً وليس عسكرياً»⁸¹. وفي المقابل، انتقد الدعم التركي الفعّال لأذربيجان ووصفه بأنه «يصب الزيت على النار»⁸². ثانياً، سعت إيران إلى الاستفادة من صيغة «3+3» لإرساء الاستقرار والأمن في المنطقة وحدودها الشمالية. واقترحت تركيا أيضاً صيغة مماثلة للدول الإقليمية. وقد عقد، حتى الآن، ممثلون عن الأطراف المعنية، باستثناء جورجيا، اجتماعين لم يسفرا عن نتائج فعلية. وفي السياق نفسه، سعت إيران، في محاولتها نزع فتيل التوتر مع باكو، إلى إعادة إحياء المنتدى الثلاثي بين إيران وأذربيجان وتركيا، حيث عُقدت الجولة السادسة لاجتماعات الشؤون الخارجية الثلاثية للدول المعنية خلال العقد السابق، ولم تسفر العروض الإيرانية المتكررة لاستضافة الاجتماعات الثلاثية لوزراء الخارجية عن نتائج فعّالة⁸³.

استعرضت إيران قوتها من خلال التعزيزات العسكرية على حدود أذربيجان وإيران. وأجرت عدداً من المناورات العسكرية الضخمة، لم يسبق لها مثيل خلال العقود الثلاثة الأخيرة لاحتلال أرمينيا للمناطق الأذربيجانية المتاخمة لإيران⁸⁴. ومن خلال استعراض إيران قوتها العسكرية، رسمت خطين أحمرين لا ينبغي تجاوزهما في المناطق القريبة من حدودها الشمالية. الخطّ الأوّل هو اعتراضها الحازم على أيّ محاولة لتغيير الحدود السياسية الدولية. وفي هذا الإطار قال العميد محمد باكبور، قائد القوات البرية في الحرس الثوري الإسلامي: «لا نقبل أيّ تغيير في الجغرافيا السياسية للحدود، وهذا هو خطّ أحمر للجمهورية الإسلامية الإيرانية»⁸⁵. أما الخطّ الأحمر الثاني فتمثّل في منع أي وجود عسكري إسرائيلي في المنطقة. وأرادت إيران، من خلال استعراض القوة، ردع أذربيجان عن السماح لإسرائيل بأن يكون لها وجود عسكري واستخباراتي قرب الحدود المشتركة. وشكّلت عملية إجراء مناورات عسكرية مثيرة للجدل بالنسبة إلى النخبة الإيرانية، بحسب ما صرّح آية الله حسن آملّي، خطيب صلاة الجمعة في بلدة أردبيل، رسالة إلى مجموعة من الجهات الفاعلة، بما في ذلك أذربيجان وإسرائيل وتركيا «بعدم اللعب بالنار»⁸⁶. وقال الدبلوماسي السابق أحمد دستمالشيان أيضاً إنه من خلال المناورات العسكرية الضخمة، «وجّهت إيران رسالة قوية إلى الدول المجاورة، مفادها أنها لا تقبل بأيّ تغيير جيوسياسي للحدود»⁸⁷.

وفي السياق نفسه، أبدت إيران تضامنها مع أرمينيا، وسعت إلى تعزيز علاقاتها بيريغان. وافتتحت إيران قنصليتها في كابان في محافظة سيونيك (زنغزور)، بعد إعادة إحياء مشاريع النقل بين البلدين. صحيح أنّ

81 "Leader's Adviser: Armenia should Leave Occupied Azeri Lands," *Tasnim News Agency*, 6/10/2020, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/9fx35skn>

82 Mamedov.

83 "Tehran to Host Trilateral Meeting Among Iran, Azerbaijan, Türkiye," *Islamic Republic News Agency (IRNA)*, 4/7/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/mr2z2u69>

84 Vali Kaleji, "Iran's Perceptions and Concerns of Border Tensions between Armenia and the Republic of Azerbaijan," *Report*, Valdai Discussion Club, 18/1/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/7upscxz>; Vali Kaleji, "Iran Increasingly Uneasy About Threats to Common Border with Armenia," *Eurasia Daily Monitor*, 14/10/2022, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/f9dy6jbe>

85 "Vague Peace in Nagorno-Karabakh."

86 Esfandiari; Yeghia Tashjian, "Is Iran making a Comeback to the South Caucasus?" *The Armenian Weekly*, 20/10/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/4mtpdkh6>

87 Savyon.



إيران لم توفر دعماً عسكرياً لأرمينيا، إلا أنها نصّبت نفسها دولة حامية لسلامة أراضيها وحدودها. وقال وزير الخارجية ظريف، خلال زيارته يريفان والتي تلت زيارته باكو وموسكو: «خطنا الأحمر هو وحدة أراضي جمهورية أرمينيا»⁸⁸. وفي السياق نفسه، صرّح العميد كيومرث حيدري، قائد القوّات البرية الإيرانية، أن «الضعف المحتمل لدولة ما في حماية حدودها لا يعطي سبباً لدول أخرى لتغيير حدودها. إنّ الجمهورية الإسلامية لن تسمح بذلك»⁸⁹.

88 "Iran Strongly Supports Armenia's Territorial Integrity," *Asbarez*, 27/1/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/24x4mxwj>

89 "Army Commander Says Iran will not Tolerate Any Change at its Northern Borders," *Panoram*, 2/10/2021, accessed on 20/5/2024, at: <https://tinyurl.com/228mb72r>

المراجع

الفارسية

- احمدی، حمید [وآخرون]. «بحران در قفقاز و امنیت ملی ایران پرونده ای در باب مسأله قره باغ». مرکز پژوهش های علمی و مطالعات استراتژیک خاورمیانه. 2021/2/13. في: <https://tinyurl.com/mr36hts3>
- اخباری، محمد. «پیامد ژئوپلیتیک بحران قره باغ بر مناسبات جمهوری اسلامی ایران در قفقاز». **آمایش سیاسی فضا**. مج 3، العدد 1 (2021).
- «بلندپروازی در باکو». **شبکه شرق**. 2022/8/29. في: <https://tinyurl.com/39y9tfs5>
- سیف الدینی، سالار. «این ره که تو میروی به ترکستان است!». **شبکه شرق**. 2022/8/29. في: <https://tinyurl.com/bdhsenz>
- _____ . «تحلیلی بر تغییر 'روز استقلال' در همسایه شمالی». **شبکه شرق**. 2022/10/19. في: <https://tinyurl.com/mrdjzfh>
- فتح آبادی، مهدی عباس زاده حسین ومعین آبادی بیدگلی ومهدیه دوست حسینی. «تحلیل سازه انگارانه چرخش در سیاست خارجی ایران در برابر بحران قره باغ (2020)». **مطالعات اوراسیای مرکزی**. مج 14، العدد 2 (2021).
- کدخدازاده، رضا وحמידرضا عزیز. «تأثیر سیاستهای پانترکیستی در روابط جمهوری آذربایجان با ایران». **سیاست جهانی**. مج 9، العدد 2 (2020).
- ملکی، صادق. «ایران و تله پانترکیسم و ایرانشهری». **دیپلماسی ایرانی**. 2021/10/12. في: <https://tinyurl.com/cv2ehkf4>

الأجنبية

- Abushev, Kavus. "The Nagorno Karabakh Conflict as a Part of the 'New' Eurasian Geopolitics." *Ankara Üniversitesi SBF Dergisi*. vol. 60, no. 3, (2005).
- Borshchevskaya, Anna & Andrew J. Tabler. "Iran's Tensions with Azerbaijan Point to Broader Shifts in the South Caucasus." *Policy Analysis*. The Washington Institute for Near East Policy. 31/3/2022. at: <https://tinyurl.com/bdec2v6n>
- Farrokh, Kaveh. "Pan-Turanism Takes Aim at Azerbaijan: A Geopolitical Agenda." *The Circle of Ancient Iranian Studies (CAIS)* (2016). at: <https://tinyurl.com/2ajx63hk>
- Gafarli, Turan & Michael Arnold (eds.). *The Karabakh Gambit: Responsibility for Future*. Istanbul: TRT World Research Center, 2021.
- Golkarian, Ghadir. "The Prospect of Ethnic Nationalism in Iranian Azerbaijan." *International Journal of Political Science*. vol. 3, no. 1 (2017).
- Has, Kerim, Vali Kaleji & Sergey Markedonov. "The Breakdown of the Status Quo and the International Dimension of the Nagorno-Karabakh Crisis." *VDC Report*. The Valdai Discussion Club (December 2020). at: <https://tinyurl.com/5y4tvu5b>



- “Iran’s Defeat in The Second Nagorno-Karabakh War – Part II: Iranian Threats Against Azerbaijan, Türkiye, And Israel.” *Report*. Middle East Media Research Institute (MEMRI). 19/11/2021. at: <https://tinyurl.com/4kwjws8k>
- Jafalian, Annie (ed.). *Reassessing Security in the South Caucasus*. London: Routledge, 2016.
- Kaleji, Vali. “The 2020 Karabakh War’s Impact on the Northwestern Border of Iran.” *Eurasia Daily Monitor*. 18/12/2020. at: <https://tinyurl.com/4zyc2f2t>
- _____. “Iran Increasingly Uneasy About Threats to Common Border with Armenia.” *Eurasia Daily Monitor*. 14/10/2022. at: <https://tinyurl.com/f9dy6jbe>
- _____. “Iran’s Perceptions and Concerns of Border Tensions between Armenia and the Republic of Azerbaijan.” *Report*. Valdai Discussion Club. 18/1/2022. at: <https://tinyurl.com/7upscxzx>
- _____. “Strategic Rail Connectivity: Time to Reconnect Iran and the South Caucasus.” *Baku Dialogues*. vol. 6, no. 1 (2022).
- _____. “Tensions Deescalate Between Iran and Republic of Azerbaijan.” *Eurasia Daily Monitor*. 2/2/2022. at: <https://tinyurl.com/mrnnypxu>
- _____. “The Israel Factor as a ‘Third Party’ in Growing Tensions between Iran and Azerbaijan.” *Eurasia Daily Monitor*. 8/5/2023. at: <https://tinyurl.com/24kc2nz8>
- Kamrava, Mehran (ed.). *The Great Game in West Asia: Iran, Turkey, and South Caucasus*. Oxford: Oxford University Press, 2017.
- Khoshnood, Arvin & Ardavan Khoshnood. “Iran’s Quandary on Nagorno-Karabakh.” *Middle East Quarterly*. vol. 28, no. 2 (2021). at: <https://tinyurl.com/6azwdw3>
- Nesibli, Nesib. *Bölünmüş Azərbaycan, Bütöv Azərbaycan*. Baku: Ay-Ulduz, 1997.
- Poghosyan, Benyamin. “Armenia - Iran Relations and their Perspectives after the 2020 Karabakh War.” *New Geopolitics*. 25/5/2021. at: <https://tinyurl.com/3st9x9au>
- Savyon, A. “Iran’s Defeat in the Second Nagorno-Karabakh War – Part I: Geopolitical and Economic Ramifications.” *Report*. Middle East Media Research Institute (MEMRI). 25/10/2021. at: <https://tinyurl.com/5hdct5zb>
- Shaffer, Brenda. “The Armenia-Azerbaijan War: Downgrading Iran’s Regional Role.” *The Central Asia-Caucasus Analyst*. 25/11/2020. at: <https://tinyurl.com/bcbu4nmd>
- _____. “Iran’s Policy towards the Caucasus and Central Asia.” *The Central Asia-Caucasus Analyst*. 17/8/2022. at: <https://tinyurl.com/29ndd4yc>
- Souleimanov, Emil. “Dealing with Azerbaijan: The Policies of Turkey and Iran toward the Karabakh War (1991-1994).” *Middle Eastern Review of International Affairs*. vol. 15, no. 3 (2011).
- Vatanka, Alex. “Azerbaijan and Israel’s encirclement of Iran.” Middle East Institute. 5/10/2021. at: <https://tinyurl.com/5ax28ppz>



_____. "Iran, Türkiye, and the future of the South Caucasus." Middle East Institute. 4/5/2022. at: <https://tinyurl.com/4v3cydrk>

Zarifian, Julien. "Iran and its Two Neighbours Armenia and Azerbaijan: Resuming Relationships under America's Suspicious Eyes." *Iran and the Caucasus*. vol. 13, no. 2 (2009).